

الفراغ المعماري النفسي في العمارة الإسلامية

The psychological architectural void in Islamic architecture

بن سالم عيسى

جامعة أحمد دراية - أدرار - (الجزائر)، ais.bensalem@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2022/11/28 تاريخ القبول: 2022/12/08 تاريخ النشر: 2022/12/30

ملخص:

يهدف البحث إلى معرفة مدى اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي من خلال الموروث المعماري المادي من بنايات وقصور، وبالتركيز على عناصر هذا الفراغ المتمثلة في الظروف الفيزيائية (التهوية، التحكم في درجة الحرارة والرطوبة، التحكم في الضوء، الإضاءة وسقوط الشمس) بالإضافة إلى استعمال الألوان والحدائق والمساحات الخضراء. من أجل ذلك استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

وقد توصل البحث إلى النتائج التالية:

- اهتمت العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي بالتحكم في الظروف الفيزيائية عن طريق ابتكار أدوات ووسائل متنوعة.

- استعمال الألوان يعتبر مظهرا من مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالجانب الجمالي وكذلك الجانب النفسي ومنه بالفراغ المعماري النفسي.

- الحدائق والمساحات الخضراء مظهر آخر من مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي.

الكلمات المفتاحية: الفراغ المعماري؛ الفراغ المعماري النفسي؛ العمارة الإسلامية.

Abstract:

The present research aims at knowing to what extent did Islamic architecture pay attention to the psycho-architectural spaces through the architectural material heritage that include buildings and castles. The focus is on the different elements of these spaces which include physical conditions (aerification, control for humidity and temperature, control of noise, lightening and sun light control), in addition to using colors, gardens and green spaces. To achieve this aim, the researcher relied on a descriptive-analytic approach.

The following results were obtained:

-Islamic architecture took a great effort in trying to make salient the psycho-architectural spaces through the creation of different tools and methods .
-the use of colors can be considered a sign that Islamic agriculture payed attention to the aesthetic aspects of the psycho-architectural spaces
-gardens and other types of green spaces are yet another sign that Islamic agriculture highlighted the importance of psycho-architectural spaces
keywords: architectural; spaces Psycho-architectural spaces; Islamic Agriculture.

مقدمة:

حاول الإنسان منذ القدم تطويع مختلف التصميمات المعمارية بما يتوافق وهويته ومعتقداته، واعتبر المباني المصممة: المأوى الذي يلجأ إليه ويسكن فيه ويطمئن داخله، وعمل على تطوير الفضاء المعماري على مر العصور والأزمان بما يتناسب مع قياسات جسمه الفيزيائية أثناء قيامه بفعالياته، وبما يسمح باحتوائه مع شروطه الحيوية، ويؤمن له القيام بنشاطه في إطار مريح وفي جو من الإحساس بالسعة.

كانت العمارة الإسلامية امتداداً لما خلفته الأمم التي قبلها بل زادت على ذلك باهتمامها المبالغ فيه بتوفير الفضاء النفسي المريح للإنسان أثناء تواجده بالبنائيات والقصور التي شيدها المهندسون المعماريون المسلمون في شتى الأقطار الإسلامية وعبر مختلف الأزمان والعصور، مستفيدين من التنوع والثراء الذي يتميز به الواقع الإسلامي من خلال تأثره بالحضارات المختلفة المجاورة والتي أصبحت فيما بعد مكون من مكونات الحضارة الإسلامية.

1- إشكالية البحث

يتمثل الاهتمام بالفراغ المعماري النفسي في العمارة الإسلامية في تلك الظروف الفيزيائية من تهوية طبيعية للأبنية والقصور، وإضاءة وسطوع للشمس مدروس يملأ المكان وينتشر في كل أنحائه، وامتصاص للرطوبة وتكييف لدرجة الحرارة وحركة الهواء داخل المكان، بالإضافة إلى استعمال الألوان المناسبة داخل الأبنية وخارجها من أجل انشراح الأنفوس وبعث السرور في ناظرها، دون أن ننسى اهتمام العمارة الإسلامية بالحدائق والمساحات الخضراء والتفنن فيها...وعلى ضوء ذلك نطرح التساؤل التالي:

- ما هي مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي؟

- كيف اهتمت العمارة الإسلامية بالظروف الفيزيائية (التهوية، الحرارة، الرطوبة، الإضاءة، الضوضاء) ؟

- كيف كان استعمال الألوان في العمارة الإسلامية؟
- كيف اهتمت العمارة الإسلامية بالمساحات الخضراء والحدائق؟

2- أهداف البحث

- إبراز اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي.
- الاهتمام بالظروف الفيزيائية باستعمال أساليب العمارة الإسلامية يتوافق مع الاستدامة التي هي مبدأ من مبادئ العمارة الحديثة
- الاهتمام بالموروث المادي من خلال تسليط الضوء على الجانب الجمالي فيه.
- الالتفات إلى الطابع العمراني الإسلامي والاقتراس منه.

3- أهمية البحث

- تسليط الضوء على إبداع الفن المعماري الإسلامي في مختلف جوانبه.
- لفت الانتباه إلى اهتمام المعمار الإسلامي بالجانب النفسي الاجتماعي المجسد في مختلف البناءات والقصور والمدن الأثرية...

4- منهجية البحث

يعتمد البحث في منهجيته على المنهج الوصفي التحليلي

5- المفاهيم الأساسية

5-1- الفراغ المعماري: يقسم المعمارون الفراغ المعماري إلى ثلاثة أقسام:

5-1-1- الفراغ الفيزيائي: وهو ذلك الحيز كن الفضاء العام الذي يحتوي الإنسان (فرداً) أو الإنسان جماعة فيزيائياً، كما أنه ذلك الحيز المحدد بقياسات جسم الإنسان فيزيائياً في أية حالة من حالات قيامه بفعالياته، وهو فراغ يمكن تحديده بالأبعاد وبدرجة كبيرة من الدقة، وهو فراغ جامد لأن الإنسان لا يؤدي فيه أي نشاط، بل هو فراغ يحتوي جسم الإنسان في حالة ثابتة.

5-1-2- الفراغ الحيوي: هو ذلك الحيز من الفضاء العام الذي يسمح باحتواء الإنسان مع شروطه الحيوية، ويكمل هذا النوع الفراغ الفيزيائي وربما احتواه.

5-1-3- الفراغ النفسي: هو ذلك الحيز من الفضاء العام الذي يؤمن للإنسان القيام بنشاطه

في إطار فيزيائي وحيوي مريح وفي جو من الإحساس بالسعة. (سليمانى جميلة، 2011، ص42) ركز المعمار الإسلامي على الفراغ واهتم به من خلال توفير كل الظروف الفيزيائية المناسبة داخل المباني والقصور وخارجها وإحداث الانسجام بين الداخل والخارج للحفاظ على تناسق الكتلة المعمارية.

5-2- فن العمارة الإسلامي: هو من بين الفنون التي اصطبغت بالطابع الإسلامي وميزت

الحضارة الإسلامية عن غيرها حيث أن لها شخصيتها وطابعها الخاص المميز، والذي تبيّنه العين مباشرة، سواءً أكان ذلك نتيجة للتصميم الإجمالي، أم العناصر المعمارية المميّزة، أم الزخارف المستعملة.

6- الجانب الوصفي

لكي نتمكن من وصف الفراغ المعماري النفسي في الموروث الحضاري المادي الذي أبدعه فن العمارة الإسلامية، علينا أن نتعرض لمراعاة المعمارين المسلمون للظروف الفيزيائية بتوفيرهم للتهوية المناسبة والضوء و سطوع الشمس، والتحكم في درجة الحرارة، والتحكم في الضوضاء، والرطوبة، بالإضافة إلى تقنية الألوان والاهتمام بالمساحات الخضراء...

6-1- الظروف الفيزيائية في العمارة الإسلامية

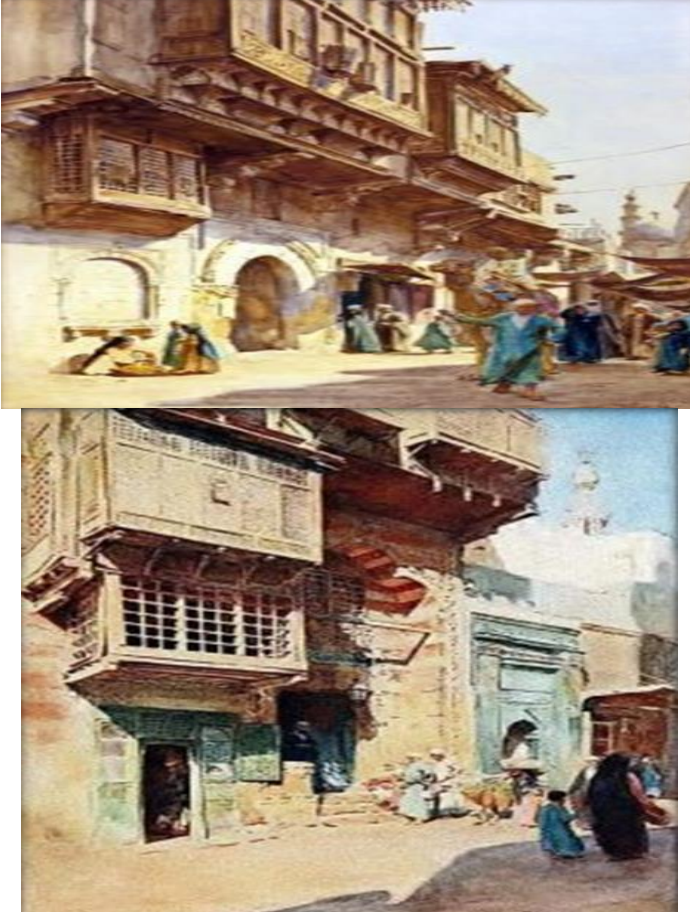
6-1-1- التهوية

- استخدام ملاقف الهواء (وهي فتحات بالأسقف تمثل مداخل الهواء) حيث يدفع الهواء إلى داخل الغرف ليخرج من الفناء الداخلي لإتمام حركته وتكون الملاقف مائلة الأسقف مثلثة الجوانب.

- استخدام المشربيات الخشبية وتمثل معالجة معمارية تسمح بدخول الرياح الملطفة، توفر المشربية الظل داخل المسكن بدون إغلاق كامل للنافذة فتحافظ على حركة الهواء مما يساعد على تخفيف درجة الحرارة في الصيف ، ويفيد هذا البروز المارة أيضا حيث يستظلون به في الزقاق صيفا ويتقون المطر شتاء كما أن المشربية تغطي الجدار المواجه للشارع وتحافظ عليه من الشمس والمطر، ومن فوائد المشربية أيضا ضبط تدفق الهواء، فبواسطتها يمكن التحكم في سرعة الهواء وتدفقه داخل الحيز الداخلي للمنزل، بالإضافة

الي ضبط رطوبة تيار الهواء المار من خلالها إلى داخل المنزل أو الحجرة لطبيعة الخامة المصنوعة منها وهي الخشب فهي خامة مسامية طبيعية مكونة من ألياف عضوية تمتص الماء وتحتفظ به. (مرؤة وائل محمد، 2021، ص111)

شكل رقم (1).. تاريخ من الجمال والفن والإبداع (صور)



المصدر: بيوت القاهرة الإسلامية

استخدام الشخشيخة ليخرج منها الهواء القادم من الملقف، وهي فرق في منسوب سقف الفراغ المعماري يسمح بعمل نوافذ علوية تسمح بخروج الهواء الساخن المتصاعد للأعلى وبالتالي إمكانية سحب هواء بارد من الخارج بدلا عنه من الفتحات السفلية. (الغمري وآخرون، بدون تاريخ، ص798)

وتستخدم الشخصيشخة في تغطية القاعات الرئيسية وتساعد علي توفير التهوية والإضاءة للقاعة التي تعلوها وتعمل الشخصيشخة مع الملقف والمشرية علي تلطيف درجة حرارة الهواء وذلك لسحب الهواء الساخن الموجود في أعلى الغرفة حيث أن الهواء الساخن يصعد إلى أعلى و البارد يهبط إلى أسفل كما أن حركة الهواء الخارجية بقممتها يخلق فرق ضغط يساعد أكثر علي سحب الهواء من الداخل وبالتالي إن وجود هذه الشخصيشخة مع المشرية التي تنفتح علي الفناء الداخلي يضمنان التجديد المستمر لهواء الحجرات واحتفاظها أيضا بهواء لطيف رطب معظم الوقت. كما تساعد علي توفير الإضاءة العلوة وتكون الشخصيشخة إما دائرية أو مضلعة أو علي ربة دائرية أو سداسية أو ثمانية. (مروة وائل محمد، 2021، ص108)

الشكل رقم 02 : شخصيشخة مجموعة السلطان الأشرف قايتباي صحراء المماليك القاهرة



المصدر: مصر عصر المماليك البرجية الجراكسة

استخدام الفناء

الفناء هو مساحة مفتوحة محاطة بجوائط تقع داخل أو خارج المبنى وتطل عليها بعض نوافذ الحجرات ويستخدم كعنصر معماري في تصميم المبنى لتلطيف درجة الحرارة داخل الحجرات ولإضاءةها وتهويتها.

ويعرف أيضا على أنه: حوش داخلي يترك في وسط المبنى للإضاءة والتهوية. (الغمري و آخرون، بدون تاريخ، ص798)

6-1-2- الضوء وسطوع الشمس

معظم المعلومات التي نجتمعها ونلتقطها من المحيط 80% منها تكون مرئية حيث أن لذلك آثارا على مزاجنا وحالتنا الصحية كالإحساس بالتعب الذي تسببه الإضاءة، وكذلك الألوان الموجودة في المحيط بسبب قلة الأداء البصري، والوقوع في حوادث نتيجة الإضاءة السيئة... ولتحقيق الراحة البصرية يجب مراعاة عدة شروط من بينها: توحيد الإضاءة، تحقيق الإنارة المثلى، تفادي الانبهار، وجود التباين المناسب، التجسيد الصحيح لألوان وغياب التقلبات والاختلافات في قوة ألوان الضوء. (كهينة، 2015، ص86)

يعتبر الضوء من أحد أهم أساليب التعبير في العمارة الإسلامية، كما أنه يعد من أبرز عناصر التشكيل داخل الفراغات بما له من تأثير على العناصر والأشكال البصرية، فأشعة الشمس تزداد سطوعا أو خفوتا تبعا لدرجة ضوء الشمس وحالة الطقس المصاحبة لها علي مدار اليوم ويتكرر ذلك من خلال الضوء الساقط علي الخطر الخشبي المتنوع في المشربيات وعلي الزجاج الملون والمفرغات الحصية في المساجد والقصور والبيوت والوكالات فأعطت تشكيلات رائعة علي الجدران والأرضيات وعناصر التأثير فعزفت إيقاعات متنوعة علي مدار اليوم، لقد أعيدت صياغة الذبذبات الضوئية من خلال أعمال الخطر الخشبي للمشربية حيث أن الأشكال المخروطة قد خلقت فيما بينها تشكيلات من الفراغ فظهرت كما لو أنها ستائر عملت علي تحليل الضوء وتدرجه بين السطوع والخفوت. (مروة وائل، 2021، ص102)

وقد أظهرت نتائج دراسة قامت بها مروة وائل (2021) حول الأنماط التصميمية للإضاءة الطبيعية التقليدية في التصميم الداخلي والعمارة الإسلامية، أن هذا الأخير خلق علاقة وثيقة ومستقرة ومتوازنة ومتناغمة بين الإنسان والظوء. (مروة، 2021، ص113)

شكل رقم 03: حزم الإضاءة تصبغ تكوينات عند انعكاسها على

الجدران فتبرز جماليات ألوانها وزخارفها



6-1-3- التحكم في درجة الحرارة: لا نستطيع ملاحظة الحرارة الداخلية لغرفة ما طالما انما مريحة ، لكنها كلما انخرقت عن معايير الراحة فإن ذلك يجلب انتباهنا شيئا فشيئا حتى نصل الى درجة عدم الارتياح، وهي تلك الدرجة التي تبدأ من مجرد الإزعاج البسيط وتتواصل إلى غاية مرحلة الألم، فالحرارة المرتفعة الزائدة تجعل الجسم مرتجيا وتسبب النوم وتؤدي إلى انخفاض في الأداء وارتفاع في نسبة الأخطاء، أما البرودة فتسبب عدم الارتياح الذي بدوره يخفض من مستوى الانتباه والتركيز ويتجلى ذلك بوضوح أثناء مزاولة الأعمال الفكرية، والمحافظة على القدر المريح من الحرارة والتهوية ضرورية سواء بالنسبة لجسم الإنسان أو بالنسبة لرفع الإنتاج. (مباركي بو حفص، 2004، ص 127) ولعل من أهم المبادئ ومعايير العمارة الإسلامية في موضوع التحكم في درجة الحرارة، توفير الظلال والحماية من أشعة الشمس وذلك باستخدام الوسائل والأساليب التالية:- إقامة الشوارع الضيقة مع الأفنية الداخلية المكشوفة. - تعريج الشوارع وتفاوت ارتفاعات البناء مما يساعد على خلق الظلال التي تساهم في خفض الحرارة.

- استخدام مواد البناء التي تساعد على خفض الحرارة ومنع تأثير أشعة الشمس والعزل الحراري كالطوب اللين.
- استخدام الأخشاب في عمل الأسقف المستوية.
- استخدام القباب لتعطي حماية من أشعة الشمس لجزء من السقف بعكس الأسقف المستوية.
- زراعة الفناء وتنسيقه ووضع المسطحات المائية والنوافير التي تنوسطه.

شكل رقم 04: قصر بو نورة بغرداية



المصدر: ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته opvm

4-1-6 التحكم في الضوضاء

غالباً ما تعرف الضوضاء على أنها صوت غير مرغوب فيه أو مزعج ويعرفها (1960) Chocholle على أنها "كل إحساس كرهه ومزعج وكل ظاهرة سمعية مولدة لهذا الإحساس، وهي عبارة عن كل صوت يغلب عليه طابع الصدفة وليست له مكونات معروفة وقد تكون الضوضاء المزعجة خارجية قادمة من خارج البناية أو داخلية نابعة من الداخل. (بوظريقة، 2002، ص 17) وقد برع المعماريون المسلمون في تجنب الضوضاء في البنايات والقصور الإسلامية وتفننوا في إيجاد حلول لتوزيع الصوت والتحكم فيه، وتقنية الصوتيات المعمارية خير دليل على ذلك حيث أفاد المسلمون من تطبيقات علم الصوتيات - (Acoustics) الذي يديرُ بنشأته وإرساء أصوله المنهجية السليمة للمسلمين - في تطوير تقنية الهندسة الصوتية، واستخدامها فيما يُعرَفُ الآن باسم (تقنية الصوتيات المعمارية)، فقد عرفوا أن الصوت ينعكس عن السطوح المقعرة، ويتجمّع في بؤرة محدّدة، شأنه في ذلك شأن الضوء الذي ينعكس عن سطح مرآة مقعرة، وقد استخدم التقنيون المسلمون خاصية تركيز الصوت (Focusing of sound) في أغراض البناء والعمارة؛ وخاصة في المساجد الجامعة الكبيرة؛ لنقل وتقوية صوت الخطيب والإمام في أيام الجمعة والأعياد؛ مثال ذلك: مسجد أصفهان القديم، ومسجد العادلية في حلب، وبعض مساجد بغداد القديمة؛ حيث كان يُصمَّمُ سقف المسجد وجدرانه على شكل سطوح مُقَعَّرَةٍ، موزَّعة في

زوايا المسجد وأركانه بطريقة دقيقة؛ تضمن توزيع الصوت بانتظام على جميع الأرجاء. (راغب السرجاني، 2010)

شكل رقم 05: مسجد الناصر محمد بن قلاوون



المصدر: مجلة اليوم السابع

6-1-5- التحكم في الرطوبة

يعد استخدام مادة الجبس (الخص) من المعالجات البيئية في بعض مناطق العالم الإسلامي والتي يتميز مناخها بالرطوبة العالية، فالجص مادة رخوة هشة قابلة لامتصاص رطوبة الهواء ويتكون من كبريتات الكالسيوم (كبريتات الجير) محتوية على الماء وممتدة به اتحادا تاما. (الغمري، بدون تاريخ ص 798)

7- استعمال الألوان

اللون هو صفة الشيء وهيئته من البياض والسواد والحمرة وغير ذلك وهي حسيّة الأثر الذي يحدثه في العين النور الذي تبثه الأجسام. (المعجم الوسيط) وفيزيائيا اللون هو عبارة عن موجات ضوئية اهتزازية تدركها العين، هذه الموجات قد تقصر أو تطول فهو النور الذي تجزأ إلى موجات متباينة الطول والاهتزاز. (كلود، 2013، ص 12) وقد اثبتت الدراسات الحديثة ان لألوان تأثير على خاليا الإنسان وجهازه العصبي، وحالته النفسية، كما أن اختيار الألوان، الانجذاب إليها أو النفور منها، يعود الى أسباب متنوعة فيزيولوجية، نفسية، اجتماعية، رمزية، وذوقية، ودينية. (نفس المرجع، 2013، ص 10)

7-1- التأثير النفسي السيكولوجي (psychology) هي انطباعات حسّية كالإحساس بسعة المكان عند استخدام درجات لونيّة فاتحة للأزرق النقي، واسترخاء لدرجات اللون الأخضر، والمرح والنشاط لدرجات اللون البرتقاليّ وقد يختلف تأثر لون معين من شخص إلى آخر فاستخدام

درجات اللون الأصفر عند البعض يعطى الإحساس بالنشاط والقوة والمرح والبعض الآخر يعطى احساساً بالنفور وعدم الراحة والقلق. مما يعني ان التأثيرات السيكولوجية يظهرها اللون فعند رؤية لون معين يتم اتخاذ رد فعل فوري وبشكل غريزي تبدأ مشاعر القبول من سرور وتعاطف وحب او مشاعر رفض وغضب وكره

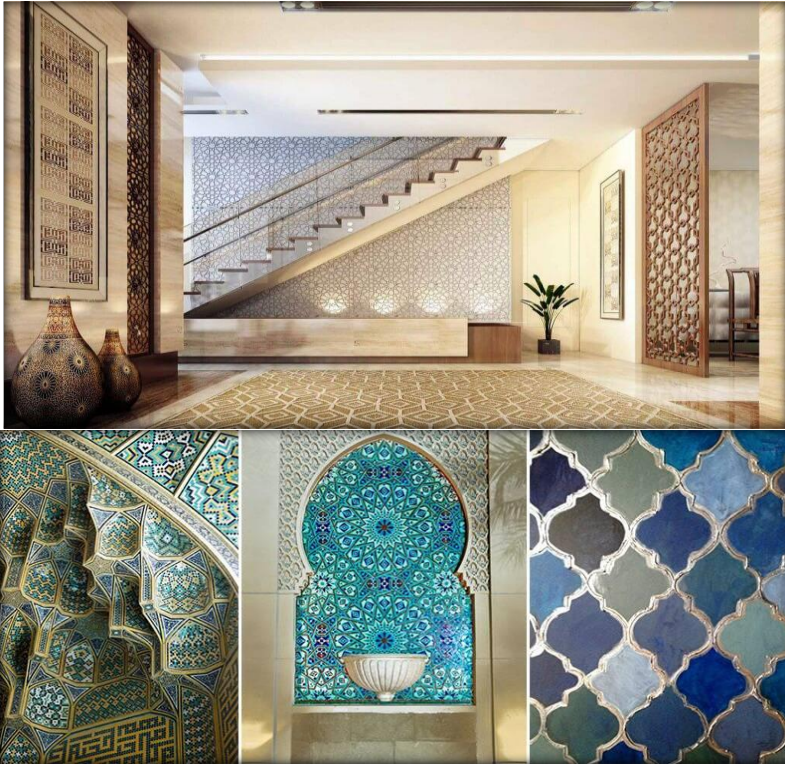
7-2- التأثير العضوي الفسيولوجي (physiology) أي تأثير اللون على جسم الإنسان وأعضاؤه الحيوية ، كتأثير اللون الأزرق على تهدئة الجهاز العصبي، وتأثير اللون الأحمر في زيادة ضغط الدم لأنه يسبب اسراعاً لنبضات القلب. (هالة صلاح، بدون تاريخ، ص589)

يؤدي اللون دوراً حيوياً في مجال الفراغ الداخلي، فهو يعمل على إبراز عناصر الأثاث وعلاقتها بمحتويات التشكيل في الفراغ، من أرضيات وسقوف وجدران. كما يحتل اللون مكانة مهمة في جميع أوجه نشاطاتنا في الحياة العامة والخاصة. وبذلك فالأثر الذي تمليه علينا الألوان في الفراغ سينعكس على الشعور الحسي والعضلي للفرد... (حسام وعبد الرزاق، 2008، ص10)

7-3- فلسفة العمارة الإسلامية في اختيار الألوان في التصميم الداخلي

- اختيار الألوان الهادئة في المعالجات الداخلية بغرض خلق أجواء إنسانية قريبة للنفس.
- اختيار اللون الأحمر البرتقالي والذي يمثل لون دافئ يرمز للتواصل والعلاقة الإيجابية.
- اختيار اللون الأسود و الذي يعطي معنى رد الفعل الإجباري والمتمثل في ضرورة الاتجاه إلى منطقة التعامل المباشر مع الجمهور.
- اختيار اللون البيج المتمثل في الرخام والمستلهم من لون الصحراء والطبيعة في الحضارة الإسلامية.
- استخدام اللون الأبيض في الرخام والذي يعمل على زيادة الفراغ و يؤدي استعماله في الفراغ الداخلي إلى زيادة قيم التباين وإلى الإحساس ببرودة الألوان. (هالة صلاح، بدون تاريخ، ص595)

شكل رقم 07: استعمال الألوان والتراكيب المرهفة والخطوط الرقيقة



المصدر: تصميم داخلي مودرن على الطراز الإسلامي

8- المساحات الخضراء

تعتبر المناطق الخضراء من الناحية الصحية الرئة التي تتنفس من خلالها المدن، و تؤدي زيادتها إلى رفع مستوى الحالة البيئية للمنطقة والحالة الصحية للسكان، كما تساعد على توطيد الروابط الاجتماعية وتنمي الإحساس والذوق الرفيع لأفراد بالإضافة إلى مساهمتها بشكل كبير في تزيين المحيط بما تحويه من نباتات مختلفة الأشكال والألوان والأشجار والمناظر الجميلة من عناصر مائية ومنشآت تساهم في تحميل الموقع وتؤدي إلى الروابط ما بين الإنسان ومحيطه وتشعره بالراحة والأمان، وتخفف عنه عناء التعب من العمل والضغط النفسي. (مخير، 2016، ص16)

تعدد استخدام الفراغ في العمارة الإسلامية وأبدع المعمارون المسلمون في تصميم الأفنية والحدائق، حيث ارتقى الفناء الداخلي من كونه مجرد فراغ سماوي تطل عليه جدران المبنى إلى كونه حديقة

داخلية ومركز الحياة المستخدم في المباني بشكل عام والمباني السكنية بشكل خاص، وأضيفت إليه عناصر تنسيق أخرى، من نافورات مياه وأشجار ونباتات... (الغمري وآخرون، بدون تاريخ، ص799)، فالنباتات والمسطحات الخضراء داخل الفراغ الداخلي للمنشآت تعمل على توفير المسطحات المظلمة، والتي تعمل بدورها على تحريك الهواء داخل الفراغ والكتلة العمرانية؛ نظراً لفروق الضغط واختلاف درجات الحرارة ما بين المناطق المظلمة والمناطق المشمسة، وبالتالي تساعد على زيادة الاتزان الحراري وتقلل من الظروف المناخية المجهدة للراحة الإنسانية. (رماح ابراهيم، بدون تاريخ، ص82) ويقول الأستاذ سيد قطب في الظلال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: "... إن منظر الحدائق يبعث في القلب البهجة والنشاط والحيوية، وتأمل هذه البهجة والجمال الناضر الحي الذي يبعثها كفيل بإحياء القلوب... (سيد قطب، 1972، ص652)

8-1- مميزات الحدائق في العمارة الإسلامية

كانت الخصوصية هي أهم ما يميز الحديقة في العصر الإسلامي؛ ولذلك أحيطت الحدائق بالأسوار العالية أو أشجار النخيل لحجب المناظر الداخلية، فهي تنطلق من الخارج إلى الداخل؛ حيث تبدأ بالجدار الحجري الذي يحيط بها يليه أشجار السرو ومهمتها تنقية الهواء الذي يهب من جهة الصحراء، وكان للمناخ دور كبير في تحديد ما يصلح من النباتات، وكذلك نسبة الإظلالم المطلوبة (أحمد مصطفى، بدون تاريخ، ص110)، كما كانت الحدائق الإسلامية في مجملها تتكون من أقسام متناظرة الوحدات سواء أكانت مربعة أو مستطيلة على طرق متعامدة وعليها تكايب العنب والمتسلقات الزهرية، مما حدا بأحد الباحثين أن يطلق عليها "النظرية الفردوسية" أو نظرية "التضاد البيئي"؛ حيث كان هناك دافعاً قوياً لمحاكاة التصوير القرآني للفردوس والجنة، وكذلك التغلب على الظروف البيئية التي تتسم بظروف مناخية قاسية بغرض تحسين وتجميل هذه البيئة. (يحيى الوزير، بدون تاريخ، ص23)

شكل رقم 08: حديقة إسلامية الطراز



المصدر: مجلة الثقافي

الجانب التحليلي:

من خلال الجانب الوصفي الذي تم فيه استعراض مختلف الجوانب المعمارية التي تم فيها الاهتمام بالجانب النفسي في العمارة الإسلامية، سنقوم بتحليل مظاهر الفراغ النفسي المعماري.

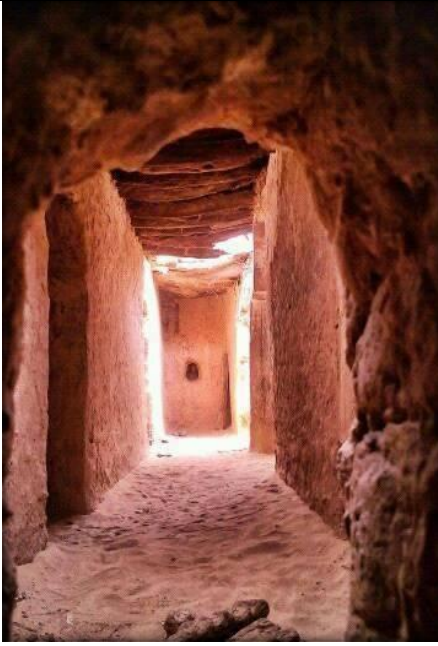
9-1- مظاهر الفراغ النفسي المعماري في العمارة الإسلامية

فيما يلي عرض للأساليب المستخدمة في العمارة الإسلامية من أجل توفير فراغ معماري نفسي يعمل على توفير الشروط والظروف المناسبة لقيام الإنسان بجميع نشاطاته في إطار فيزيائي وحيوي مريح وفي جو من الاحساس بالسعة.

الشكل رقم 09: مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي

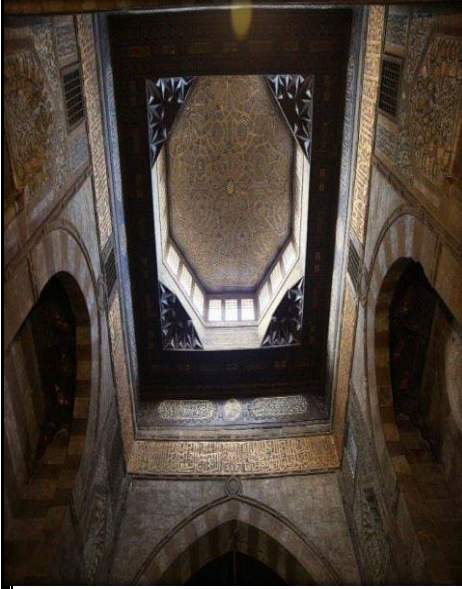
العناصر	مظاهر الاهتمام	التأثير النفسي	صور توضيحية
التهوية	- استخدام ملاقف الهواء. - استخدام المشريبات - استخدام الشخصيشخة ليخرج منها الهواء القادم من الملقف. - استخدام الفناء.	القضاء على مشكلة ركود الهواء وبالتالي اختلال توازن الجسم. والحركة المستمرة للهواء تنعش الجسم وتجعل الإنسان يقوم بمختلف نشاطاته في جو من الراحة	

	في دراسة إيفي تشيونغ تؤكد على أن التعرض للضوء يساعد على تشغيل و إيقاف جينات في الساعات الداخلية للجسم تملي الإيقاع اليومي للساعة البيولوجية (إي في تشيونغ، 2011)	-الفناء المفتوح -استخدام المشربيات -استخدام المكعبات الصغيرة من لزجاج الملون والشفاف، ومكعبات ذات اللون الذهبي والفضي... -الأفنية والفتحات المخوفة على السقوف العالية(المداوي (	الإضاءة
---	---	--	----------------



التحكم	- إقامة	الحرارة المرتفعة
في درجة	الشوارع	الزائدة تجعل
الحرارة	الضيقة مع	الجسم مرتخيا
والرطوبة	الأنفية	وتسبب النوم
	الداخلية	وتؤدي إلى
	المكشوفة.	انخفاض في
	- تعريج	الأداء وارتفاع
	الشوارع	في
	وتفاوت	نسبة الأخطاء
	ارتفاعات	،أما البرودة
	البناء مما	فتسبب عدم
	يساعد على	الارتفاع الذي
	خلق الظلال	بدوره يخفض
	التي تساهم	من مستوى
	في خفض	الانتباه والتركيز
	الحرارة.	ويتجلى ذلك
	- استخدام	بوضوح أثناء
	مواد البناء	مزولة العمال
	التي تساعد	الفكرية
	على خفض	،والمحافظة على
	الحرارة ومنع	القدر المريح من
	تأثير أشعة	الحرارة و
	الشمس	التهوية ضرورية
	والعزل الحراري	سواء بالنسبة
	كالطوب	لجسم الإنسان

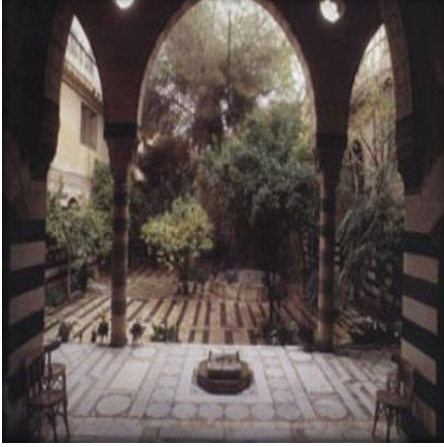
	الدين.	- الانتعاش
	-استخدام	والشعور الراحة
	الأخشاب في	
	عمل الأسقف	
	المستوية.	
	-استخدام	
	القباب لتعطي	
	حماية من	
	أشعة الشمس	
	لجزء من	
	السقف	
	بعكس	
	الأسقف	
	المستوية.	
	-زراعة الفناء	
	وتنسيقه	
	ووضع	
	المسطحات	
	المائية والنوافير	
	التي تتوسطه.	
	- استخدام	
	مادة	
	الجبس(الخص)	



التحكم	برع المعمارون	-الشعور
في	المسلمون في	بالهدوء و
الضوضاء	تجنب	الطمأنينة
	الضوضاء في	-القيام
	البنائات	بالنشاطات في
	والقصور	جو من السعة
	الإسلامية	والراحة
	وتفننوا في	
	إيجاد حلول	
	لتوزيع الصوت	
	والتحكم فيه،	
	وتقنية	
	الصوتيات	
	المعمارية خير	
	دليل على	
	ذلك.	
	-احترام	
	الخصوصية في	
	تصميم	



استعمال الألوان	-اختيار الألوان الهادئة في المعالجات الداخلية بغرض خلق أجواء إنسانية قريبة للنفس. -اختيار اللون الأحمر البرتقالي والذي يمثل لون دافئ يرمز للتواصل والعلاقة الإيجابية. -استخدام اللون الأبيض في الرخام والذي يعمل على زيادة الفراغ .	-الإحساس بسعة المكان -تنشئ السرور والابتهاج -الشعور بالاسترخاء و الراحة والتأمل -تطرد الكآبة والتوتر والقلق
--------------------	---	---

	-التمتع بالهواء النقي وبالمناظر الجميلة يريح النفس -الإحساس بسعة المكان -التمتع بالخصوصية	-الإبداع في تصميم الأفنية والحدائق -أحيطت الحدائق بالأسوار العالية أو أشجار النخيل لحجب المناظر الداخلية	المساحات الخضراء
---	--	---	-----------------------------

المصدر: من إعداد الباحث

خاتمة:

اهتمت العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي اهتماما بالغاً ويظهر ذلك جلياً وبمجسداً في مختلف البنايات والقصور الإسلامية في كل أنحاء العالم الإسلامي، فلقد تفنن و أبدع المعمارون المسلمون في إظهار الجانب الجمالي وتوفير الإطار الفزيائي والحيوي للإنسان الساكن والمرتاد على تلك الأبنية والقصور، كما أنهم لم يهملوا تأمين الجانب النفسي بتوفيرهم لكل الظروف المناسبة التي تسمح للسكان والمرتادين بممارسة نشاطاتهم في جو من الإحساس بالسعة والارتياح والانشراح والسرور من خلال الاهتمام بعناصر الفراغ المعماري النفسي، وقد تتبع هذا البحث بالوصف وجود هاته العناصر في الموروث المعماري بالصور والتعليق، ثم أتبعها بالتحليل بجمعها وتصنيفها في الجدول أعلاه، مع تبيان التأثير النفسي لكل عنصر من عناصر الفراغ المعمارين، وقد أفرزت هذه الدراسة النتائج التالية:

- من بين مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي التحكم في تهوية المباني والقصور عن طريق ابتكار أدوات ووسائل متنوعة مثل: ملاقف الهواء، المشربيات، الشخشيخات، المداوي، الأفنية... وغيرها.
- يعد التحكم في الإضاءة وسقوط الشمس من مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي، عن طريق: الفناء المفتوح، استخدام المشربيات، استخدام المكعبات الصغيرة من لزجاج الملون والشفاف ومكعبات ذات اللون الذهبي والفضي... الأفنية والفتحات المحوفة على السقوف العالية (المداوي).
- التحكم في درجة الحرارة والرطوبة هو من بين مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي وذلك عن طريق الأساليب التالية: - إقامة الشوارع الضيقة مع الأفنية الداخلية المكشوفة، تعريج الشوارع وتفاوت ارتفاعات البناء مما يساعد على خلق الظلال التي تساهم في خفض الحرارة، استخدام مواد البناء التي تساعد على خفض الحرارة ومنع تأثير أشعة الشمس والعزل الحراري كالطوب اللين، استخدام الأخشاب في عمل الأسقف المستوية، استخدام القباب لتعطي حماية من أشعة الشمس لجزء من السقف بعكس الأسقف المستوية، زراعة الفناء وتنسيقه ووضع المسطحات المائية والنوافير التي تتوسطه، استخدام مادة الجبس (الخص).
- من بين مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي، التحكم في الضوضاء عن طريق الأساليب التالية: تقنية الصوتيات المعمارية، احترام الخصوصية في تصميم الغرف الداخلية والنوافذ المطلة على الخارج.
- استعمال الألوان يعتبر مظهراً من مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالجانب الجمالي وكذلك الجانب النفسي ومنه بالفراغ المعماري النفسي عن طريق ما يلي: اختيار الألوان الهادئة في المعالجات الداخلية بغرض خلق أجواء إنسانية قريبة للنفس، اختيار اللون الأحمر البرتقالي والذي يمثل لون دافئ يرمز للتواصل والعلاقة الإيجابية، استخدام اللون الأبيض في الرخام والذي يعمل على زيادة الفراغ و يؤدي استعماله في الفراغ الداخلي إلى زيادة قيم التباين وإلى الإحساس ببرودة الألوان...

- الحدائق والمساحات الخضراء مظهر آخر من مظاهر اهتمام العمارة الإسلامية بالفراغ المعماري النفسي وذلك عم طريق: الإبداع في تصميم الأفنية والحدائق.
- انطلاقا من هذه الدراسة ووقوفا هند نتائجها نقدم الاقتراحات والتوصيات التالية:
- ندعو الممارين إلى الالتفات إلى العمارة الإسلامية والاقتباس من الموروث المعماري الإسلامي.
- التحكم بدرجة الحرارة والتهوية باستعمال الوسائل التقليدية المستعملة في العمارة الإسلامية يوفر الطاقة ويدعم مفهوم الاستدامة الذي تتبناه العمارة الحديثة.
- الاهتمام بالحدائق والمساحات الخضراء موروث معماري إسلامي تحمله العمارة الحديثة في بلادنا، علينا إحياءه والرجوع إليه.
- الاهتمام بالخصوصية في التصميم المعماري يجلب الطمأنينة والراحة النفسية للسكان و المرتادين.

المراجع:

- مباركى بوحفص (2004) العمل البشري، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر.
- كلود عبيد(2013)، الألوان ،دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيها ودلالاتها، مجد للنشر والتوزيع، لبنان.
- سليمان جميلة (2011)، دراسات في علم النفس الاجتماعي الفضائي (الآليات النفسية الاجتماعية للمسكن)، دار الطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر.
- سيد قطب (1972)، في ظلال القرآن، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، مصر.
- حسام دبس وزيت وعبدالرزاق معاد (2008)، البعد الوظيفي والجمالي للألوان في التصميم الداخلي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية المجلد الرابع والعشرون - العدد الثاني.
- مروة وائل محمد، الأنماط التصميمية للإضاءة الطبيعية التقليدية في التصميم الداخلي والعمارة الإسلامية، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية - المجلد السادس - العدد الثامن والعشرون، يوليو 2021.

- هالة صلاح حامد، اللون في العمارة الإسلامية وأثره على التصميم الداخلي، مجلة العمارة والفنون، العدد الرابع عشر، مصر.
- وليد محمد الغمري ونسرين يوسف وعبد الباري مهدي عمارة، دراسة مقارنة بين معايير الـ (LEED) ومبادئ الاستدامة في العمارة الإسلامية، مجلة العمارة والفنون، العدد العاشر، سوريا.
- كحلوش كهينة (2015)، ظروف العمل الفيزيائية وأثرها على صحة العامل، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مولود معمري، الجزائر.
- مخيير منال ندم (2016): أسس تنظيم المحاور الخضراء داخل المدن (دراسة حالة)، رسالة ماجستير، كلية الهندسة المعمارية، جامعة دمشق، سوريا.
- راغب السرجاني، فن العمارة في الحضارة الإسلامية
<https://islamstory.com/ar/artical/23524/> 17/05/2010
- يوت القاهرة الإسلامية.. تاريخ من الجمال والفن والإبداع (صور)، 03 يونيو 2022
<https://sqawoa.com/archives/23354>
- مصدر الشكل رقم 2 - [http://mrrekaz.blogspot.com/2020/04/blog-2](http://mrrekaz.blogspot.com/2020/04/blog-post_76.html)
[post_76.html](http://mrrekaz.blogspot.com/2020/04/blog-post_76.html)
- ديوان حماية وادي ميزاب و ترقيةه <http://www.opvm.dz/ar>
- مجلة اليوم السابع، الجمعة 25 نوفمبر 2022
<https://www.youm7.com/story/2014/6/30>
- تصميم داخلي مودرن على الطراز الإسلامي - <https://www.luxurious->
- يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، ص 214. نقلا عن عماد عجوة، الحقائق والعمارة الإسلامية.. عظمة الخالق وروعة الجمال، الجمعة 2 جمادى الأولى 1444 هـ - 25 نوفمبر 2022 الساعة 07:49
<https://www.ikhwan.online/article/61347>
- أحمد مصطفى، الحديقة الإسلامية بين المفهوم والتطبيق، ص 110، نقلا عن عماد عجوة، الحقائق والعمارة الإسلامية.. عظمة الخالق وروعة الجمال، الجمعة 2 جمادى الأولى 1444 هـ - 25 نوفمبر 2022 الساعة 07:49
<https://www.ikhwan.online/article/61347>

- رماح إبراهيم، تصميم الفراغات العمرانية في المناطق الحارة، ص 82 : 83، نقلا عن عماد عجيوة، الحدائق والعمارة الإسلامية.. عظمة الخالق وروعة الجمال، الجمعة 2 جمادى الأولى 1444 هـ - 25 نوفمبر 2022م الساعة 07:49
<https://www.ikhwan.online/article/61347>
- مجلة الثقافي، حديقة إسلامية الطراز / <http://elasheqa.blogspot.com/>
- دراسة: الإضاءة النهارية في مكان مكان العمل تحسن المزاج 2014 /08/20
/ <https://www.albawaba.com>